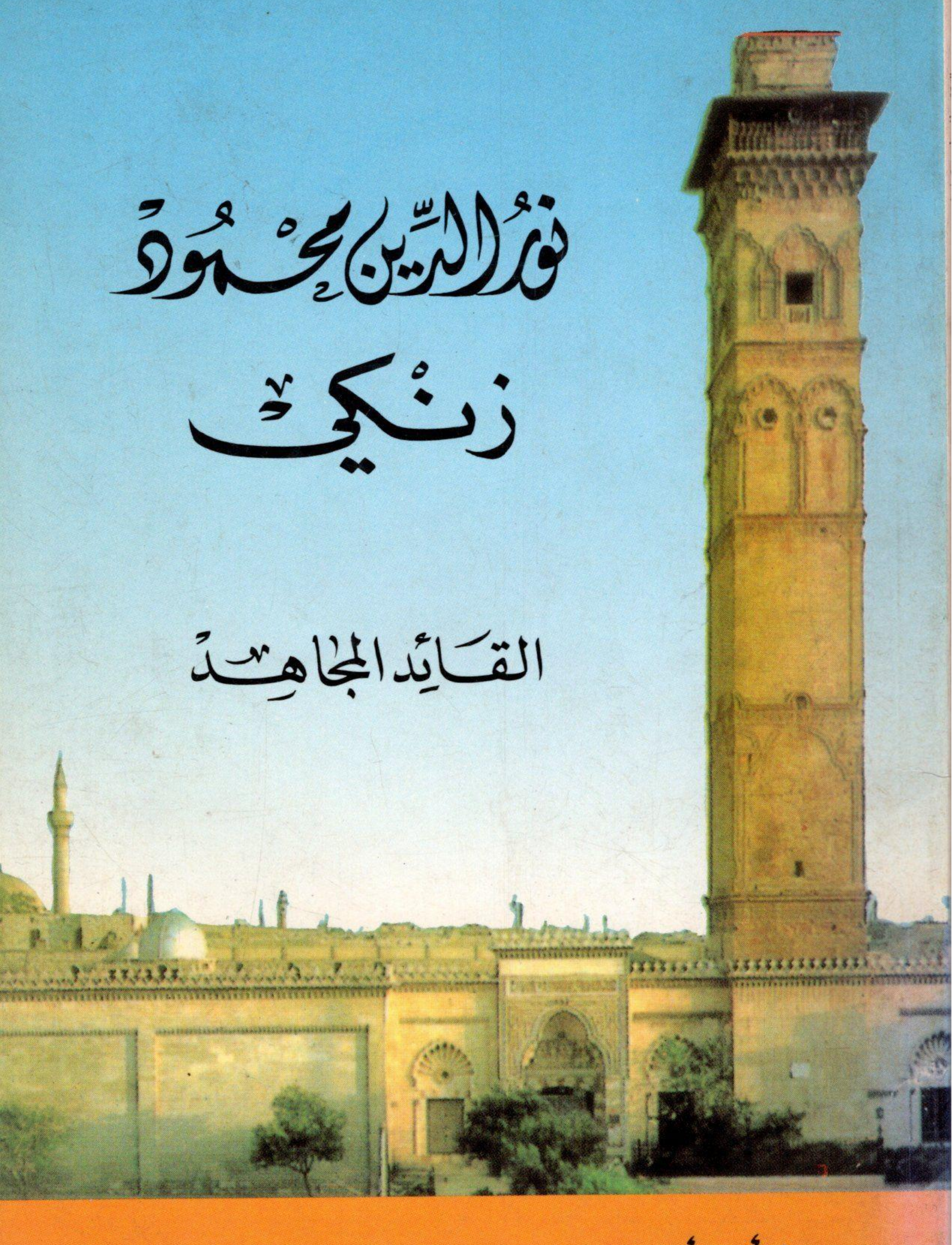
نور الدين محمود زنكي

القائد المجاهد



الدكتور أنس أحمد كرزون

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه الكريم :



اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فــــي 16 / رمضان / 1444 هـ
الموافق 07 / 04 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائــي

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

م. سرمد حاتم شكر

[صورة الغلاف للجامع الكبير في مدينة حلب، وقد بناه الأمويون عام (٩٨هـ)، ثم قام السلطان نور الدين بإعادة بنائه وترميمه وتوسعته، وذلك عام (٥٦٤هـ)، وجعل من حلب عاصمة لدولته].

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

نور الدين محمود زنكي

القائد المجاهد

الدكتور أنس أحمد كرزون

دار ابن حزم

المقدّمة

كل الناس يعرف من هو صلاح الدين الأيوبي ، وكيف كان جهاده ضد الصليبيين ، ولكن القليل جداً هم الذين يعرفون من هو نور الدين محمود .

لقد كان دور نور الدين في التاريخ الإسلامي بارزاً لا يقل أهمية عن دور صلاح الدين ، بل هو الذي مهد لصلاح الدين وسلّمه الراية حتى يكمل المسير .

يقول أبو شامه : (لو علم نور الدين ماذا ذخر الله تعالى للإسلام من الفتوح الجليلة على يدي صلاح الدين من بعده لقرّت عينه ، فإنه بنى على ما أسّسه نور الدين من جهاد الأعداء)[1] .

ولذلك كان الصليبيون يحسبون لنور الدين ألف حساب ويخافون ملاقاته ويفرون من أمامه .

لقد أنشأ نور الدين دولته وسط تحديات الغزاة الصليبيين الذين انزرعوا في قلب المنطقة ، وبدأ حكمه بأمارة محدودة لا تتجاوز مدينة

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة ١ /٥٨٢ .

حلب، ولكنه توفي وهو يحكم دولة تمتد من حدود فارس حتى صحراء ليبيا، ومن جبال الأناضول حتى النوبة واليمن والبحر العربي[1].

هذا هو نور الدين الذي قال عنه المستشرق ستيفن :

(كان نور الدين أكبر عدو للعالم المسيحي)[2]

والذي قال عنه المستشرق مكسيموس مونروند :

(لم يكن يوجد رجل مخيف مهيل البأس ينغِّص على النصارى بمقدار ما كان الأمير نور الدين)[3].

فإذا كان نور الدين أكبر عدو للعالم المسيحي، وإذا كان ينغِّص على النصارى ويخيفهم ويحذرون بأسه، فاعلموا إذن من هو نور الدين.

إنه ذلك الرجل التقي الصالح المجاهد الزاهد الذي جمع الخير من أطرافه، وسار على سيرة السلف الصالح واقتدى بالرسول الأعظم ﷺ.

ولذلك سارعت للكتابة والبحث في حياة نور الدين، ولو لم أوفِّه حقه.

ولابد من بيان أن هذه الرسالة الموجزة لم تكتب للمختصين في التاريخ أو العلوم الإسلامية، وإنما هي للناشئة من شباب المسلمين عامة، لكي يستعيدوا ذكرى هذا الطود الشامخ من عظمائهم، ويتعرفوا ولو بإيجاز على صفحة من صفحات تاريخنا المشرق، خاصة ونحن نرى العزوف عن القراءة في المطولات.

---

(١) عماد الدين خليل : نور الدين محمود الرجل والتجربة ص/٤.

(٢) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ص/٥٢٣

(٣) شاكر أحمد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ص/٢١٥ نقلاً عن الحروب الصليبية المقدسة المكسيموس ٢/٦٣.

إن النـاس اليـوم بأشـد الحاجة إلى استعادة تاريخهم المجيد ليكون نبراساً لهم في طريقهم نحـو العـزة والكـرامـة. فلا عز إلا بالإسلام، ولا حضارة إلا باتباع شرع الإسلام، ومن حاد عن طريقه فقد خسر.

ولننتقـل الآن مع القـارىء الكـريم إلى العيش في ريـاض نور الدين، ودراسة سيرته، وبالله العون والتوفيق.

الباب الأول

عصر نور الدين الزنكي

لابدّ لكل باحث يريد أن يتحدث عن شخصية قائد ما، أن يُلقي الضوء على البيئة التي وُجد فيها والعصر الذي عاش فيه، حتى تكون الصورة أمام القارىء واضحة جلية، بحيث تبرز أعمال هذا القائد وجهوده في تغيير ذلك الواقع والتأثير فيه، كما تظهر الأسباب والعوامل التي هيأت لظهور ذلك القائد ونجاحه.

نحن الآن في أواخر القرن الخامس الهجري، والخلافة العباسية في بغداد أصبحت خاضعة لنفوذ السلاجقة الذين كانوا قد سيطروا قبل منتصف القرن الخامس الهجري على إيران، فانحسرت سلطة العباسيين، وعاش الخلفاء على ما تدّره الاقطاعات الخاصة بهم وقد ظل الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) ألعوبة في يد السلاجقة حتى توفي سنة ٤٨٧هـ فخلفه في الحكم إبنه (المستظهر بالله) الذي ظل خاضعاً للسلاجقة كوالده حتى توفي سنة ٥١٢هـ[١].

أما في مصر فقد بدأ الضعف ينخر في جسم الدولة الفاطمية منذ عام ٤٤٤هـ بسبب موجة الغلاء الفاحش حتى كثر الموت في الناس،

---

(١) مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي. ص/١٠٥ ـ ١٠٧.

وكان يموت الآلاف في اليوم الواحد فلا يوجد من يكفنهم أو يغسلهم وتعطلت الدواوين وذهب وقار الخليفة (المستنصر بالله) واستغل ذلك وزراؤه لتحقيق مآربهم الشخصية، وانحسر نفوذ الفاطميين عن بلاد الشام بعد أن غدت بلاد الشام مسرحاً للمنازعات بين السلاجقة (الذين هم من أهل السنة) والفاطميين (الشيعة)، مما أدى إلى تفكك وحدة المسلمين، ومهّد الطريق أمام الصليبيين لغزو بلاد الشام في يسر وسهولة حيث وصلوا إلى أطرافها سنة ٤٩٠هـ[١].

وتبرز هنا خيانة الفاطميين، فقد أرسل (بدر الجمالي) وزير (المستعلي) سنة ٤٩٠هـ سفارة من قِبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضاً خلاصته أن يتعاون الطرفان للقضاء على السلاجقة في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين، في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.

ولما كان هدف الصليبيين هو السيطرة على بيت المقدس فقد كان ردهم غامضاً واكتفوا ببثّ شعور الطمأنينة في نفوس الفاطميين، واكتشفوا بذلك ضعف المسلمين وتفككهم.

ولما قام (كربوق) صاحب الموصل بتجهيز قوة لمنع سقوط أنطاكية بيد الصليبيين وقف الفاطميون موقف المتفرج.

ولم يكتفوا بذلك بل استغلوا هذه الفرصة فسيّروا جيشاً إلى بيت المقدس الذي كان بيد السلاجقة وحاصروه ونصبوا عليه أكثر من أربعين منجنيقاً حتى تهدمت بعض أسواره وسيطروا عليه[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص/١١٥ - ١١٨.

(٢) المرجع السابق، ص/١١٩ نقلاً عن الكامل لابن الأثير ١٠/٢٨٢ - والمختصر لأبي الفدا ٢/٢١١.

أما في بلاد الشام فقد كان سلطان السلاجقة آخذاً في الإنهيار، فبعد أن استطاع تاج الدولة (تتش) توحيد معظم بلاد الشام والجزيرة تحت لوائه عاد الإنقسام بعد موته فانقسمت بلاد الشام بين ولديه رضوان بحلب ودقاق في دمشق.

وبدأ النزاع بين الأخوين سنة ٤٨٨هـ، وقام رضوان بقتل أخويه وهما أبو طالب، وبهرام، في نفس السنة التي قُتل فيها والدهم (تتش)، ليخلو له الجو من المنافسة في حكم بلاد الشام[١].

وهكذا كان حال أمراء المسلمين يقتل الأخ منهم أخاه ويريق دمه ظلماً لئلا ينافسه في الحكم، مع شدة الحاجة إلى تآلف القلوب وتوحد الصفوف لمواجهة أعداء الله من الصليبيين!!

واستغل زعماء الفرقة الإسماعيلية الباطنية[٢] هذا الخلاف بين الأخوين فتقربوا من رضوان وحصلوا على مكانة مرموقة عنده، وتشيّع لآرائهم[٣]، ولم يعبأ بما أحرزه الصليبيّون من انتصارات واستيلاء على

---

(١) المرجع السابق، ص/٤٤ نقلاً عن زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم ١٢١/٢.

(٢) الإسماعيلية فرقة باطنية حكم العلماء بخروجها عن دين الإسلام، وينتسب اتباعها إلى إسماعيل بن جعفر الصادق حيث جعلوه إماماً بعد أبيه وقالوا بالنص عليه، وبعد إسماعيل نصوا على إمامة ولده محمد وعندهم أئمة مستورون يسير ون في البلاد سراً يبثون سمومهم واشتهروا بالباطنية لقولهم إن لظواهر القرآن بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشور، وبذلك عطلوا العمل بظواهر القرآن وأباحوا المحرمات، وكان أهم هدف لهم تهديم الشريعة وتفريق صف المسلمين وتعطيل أحكام الدين، وأهم مؤسس للباطنية الحسن بن الصباح، ولذلك قال عنهم البغدادي في الفرق بين الفرق: إن ضرر الباطنية على المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم مضرة من سائر أصناف الكفرة.

راجع: الملل والنحل للشهرستاني ١٩١/١.

الفرق بين الفرق للبغدادي ص/٢٦٥.

(٣) مسفر الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين ص/٥١ عن زبدة الحلب ١٤٥/٢.

بعض بلاد الإسلام في آسيا الصغرى حتى استولوا على انطاكية سنة ٤٩١هـ، ثم سيطروا على المعرّة عام ٤٩٢ ثم واصلوا سيرهم إلى جبل لبنان فقتلوا مَن به من المسلمين، ثم نزلوا إلى حمص فهادنهم (جناح الدولة حسين) على مالٍ يدفعه لهم[١]. ومع كل هذا كان الأخوان رضوان ودقاق مشغولين بنزاعات شديدة وكل منهما يطمع بملك الآخر!!

وفي سنة ٥٠٠هـ سعى رضوان إلى التصدي لزعيم سلاجقة الروم (قلج أرسلان) وهزمه وهو يحاول قتال الصليبيين حول الرها، ولم يكتف بهذا بل انضم إلى الصليبيين ضد (جاولي) صاحب الموصل سنة ٥٠١هـ بسبب خلاف وقع بين رضوان وجاولي[٢].

ولم يقدر الصليبيون هذا الموقف من رضوان، بل حاصروا حلب سنة ٥٠٤هـ وضيقوا على أهلها حتى أكلوا الميتات وورق الشجر وفرضوا على رضوان مبلغاً كبيراً يحمله إليهم[٣].

وهكذا لاقى رضوان جزاءه ولم تنفعه سياسته الموالية لأعداء الإسلام.

ولم يكن موقف دقاق صاحب دمشق أحسن حالاً لكن الأجل وافاه سنة ٤٩٧هـ وانتهى بموته حكم السلاجقة من دمشق وانتقل إلى أسرة (ظهير الدين طغتكين) الذين حكموها حتى سنة ٥٤٩هـ[٤] وهي

---

(١) المرجع السابق ص/٥٢ نقلاً عن الكامل لابن الأثير ٢٧٢/١٠ وزبدة الحلب ١٤١/٢.

(٢) (٣) المرجع السابق، ص/٥٤ نقلاً عن زبدة الحلب ١٥٣/٢.

(٤) المرجع السابق. ص/٥٥.

السنة التي انتقل فيها حكم دمشق إلى نور الدين كما سنرى في هذا البحث إن شاء الله .

ومع إمتداد الصليبيين في البلاد الإسلامية وسيطرتهم على مدنهم كان بعض أمراء المسلمين وعلمائهم يستنهضون القوى لردهم وحماية ثغور الإسلام منهم، ولكن هذه القوى كانت محدودة . فلم تفلح في إيقاف المد الصليبي .

ومن بين الذين حاربوا الصليبيين السلطان غياث الدين الذي أرسل جيشاً بصحبة مودود بن زنكي صاحب الموصل سنة ٥٠٥هـ فانتزعوا من أيدي الصليبيين حصوناً كثيرة[١].

عماد الدين زنكي :

ولد عمادالدين زنكي سنة ٤٧٧هـ وكان أبوه (آقسنقر) من كبار قادة (ملكشاه) حتى لُقب بقسيم الدولة ، وكان الإبن الوحيد لهذا القائد فلقي العناية ، وتولى أبوه حلب سنة ٤٧٩هـ أي بعد سنتين من مولد عمادالدين ، فكانت حلب مهد طفولته ، ودرّبه والده على الفروسية[٢] ، وتوفي والد عمادالدين سنة ٤٨٧هـ ، قتله (تتش) واستولى على حلب من بعده .

فانتقل عماد الدين إلى الموصل ، وكان على صلة طيبة بأمرائها الذين تعاقبوا عليها[٣].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٧٣ .

(٢) شاكر أحمد أبو زيد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ص/٥٧ .

(٣) المرجع السابق ص/٦٢ .

وفي عام ٥١٩هـ أرسل أعيان حلب إلى (البرسقي) حاكم الموصل يطلبون منه النجدة بعد أن زاد تهديد الصليبيين لمدينة حلب فسار إليهم ومعه (طغتكين) صاحب دمشق (وصمصام الدين) صاحب حمص، ووصل هؤلاء إلى حلب وبذلك أصبحت حلب تابعة للموصل[١].

ولم ينقطع عماد الدين عن جهاد الصليبيين، بل ظل ملازماً لحكام الموصل الذين أخذوا على عواتقهم عبء الجهاد الإسلامي، فكانت له اليد الطولى في الموقعة التي جرت بين المسلمين والصليبيين في معرّة النعمان سنة ٥٠٥هـ[٢] وفي كثير من المواقع حتى ظهر منه في جهاد الصليبيين مالا يوصف كما قال إبن الأثير[٣].

وفي سنة ٥١٦هـ أصبح عماد الدين والياً على واسط، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية[٤]، ثم أقطعه السلطان محمود في سنة ٥١٨هـ أمارة البصرة[٥].

وفي سنة ٥١٩هـ توترت العلاقات بين السلطان محمود والخليفة العباسي المسترشد بالله، وانتهى الأمر بالصلح بين الطرفين ورحيل السلطان محمود عن بغداد بعد أن ولّى عليها عماد الدين، الذي سعى بعد ذلك لتوطيد علاقته بالخليفة العباسي[٦].

---

(١) فايد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ص/١٧٩ .

(٢) (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص/١٩ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٩٠ .

(٥) المرجع السابق ، ١٢/١٩٤ .

(٦) مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين ص/١٨٢ ـ ١٨٣ .

ثم تولى حكم الموصل سنة ٥٢١هـ فأصلح أمورها وبدأ يفكر في توحيد الجبهة الإسلامية وضم البلاد التي يتناحر أمراؤ ها إليه، فبدأ بجزيرة ابن عمر فاستولى عليها، ثم اتجه إلى نصيبين ثم إلى سنجار ثم الخابور ومنها إلى حران[١]، وهكذا استطاع أن يفرض سيطرته على هذه البلاد ويضمها إلى جبهة إسلامية واحدة.

وفي تلك السنة ٥٢٢هـ كانت حلب واقعة بين نزاع أمرائها وأطماع الصليبيين فيها، فكانت أهم أعمال عماد الدين زنكي سيطرته على حلب حيث وصلها في جيش عظيم وتلقاه أهلها بالفرح والسرور وهم يذكرون الأيام السابقة التي عاشوها في ظل حكم (أقسنقر قسيم الدولة) والد عماد الدين زنكي، وبذلك أصبح عماد الدين وجهاً لوجه مع الصليبيين خصوصا بعد أن فقدت دمشق زعيمها (ظهير الدين طغتكين) في تلك السنة، فعمل عماد الدين على تقوية روابطه بأهل حلب، فتزوج من إحدى بنات رضوان سنة ٥٢٤هـ[٢].

ثم إستطاع بعد ذلك أن يستولي على بعض المواقع الأخرى كالرقة سنة ٥٢٩هـ، ثم توجه إلى (شهر زورالتي) التي كانت تحت حكم التركمان فاستولى عليها سنة ٥٣٤ لرغبته في الاستعانة بالتركمان في صدّ هجمات الصليبيين[٣].

---

(١) لايتسع مجال البحث لتفصيل تلك الأعمال فاكتفينا بالإشارة إليها لتكون الصورة التاريخية شاملة.

(٢) مسفر الغامدي : ص/١٨٦ - ١٩٠ ملخصاً، نقلاً عن زبدة الحلب ٢/٢٤٤ - ٢٤٥. شاكر أبو زيد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ص/١٦٩.

(٣) مسفر الغامدي : ص/١٩٢ نقلاً عن الكامل لابن الأثير ١١/٧٥ - المختصر لابي الفدا ٣/٦٥.

وهكـذا استمـرت أعـمال عماد الـدين في توحيـد الجبهـة الإسلامية بالإضــافـة إلى هجـماتـه المستمـرة لمواجهـة الصليبيـين ودك قلاعهم وحصـونهم، حتى تم له الإستيـلاء على أمـارة الـرهـا الصليبيـة سنة ٥٣٩هـ التي تسمى اليوم (أورفة)[١]، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً[٢].

وفي سنــة ٥٤٠هـ عزم عماد الـدين زنكي على المسير إلى دمشق للإستيلاء عليها واستكمال توحيد الجبهة الإسلامية غير أن أهالي الرها قد حاولوا القيام بفتنة للإطاحة بحكم زنكي فسار إليهم مرة ثانية وأخمد هذه الفتنة[٣].

وبهـذه الأعـمال البطولية تجدد الأمل عند المسلمين وهم يرون تحطم أولى الإمـارات الصليبيـة، وارتفعت بذلـك مكانة عماد الدين الزنكي فمدحه الشعراء، وأرسل له الخليفة العباسي (المقتفي لأمر الله) الخلع والهـدايا، وضعفت الروح المعنوية لدى الصليبيين، ونهضت في غرب أوروبا حركة تدعو إلى حملة صليبية ثانية[٤].

وفي أواخر سنة ٥٤٠هـ عزم عماد الدين على فتح قلعة جعبر فشدد حصـاره عليهـا وكـاتب صاحبهـا ليسلِّمها له فرفض، واستمر الحصار حتى شهر ربيع الآخر من السنة التالية ٥٤١هـ.

وبينـما كان عمادالـدين نائـماً ذات ليلة دخـل عليـه نفـر من مماليكه فقتلوه، وكـان ذلـك لخمسٍ مضينَ من ربيع الآخر فاستشهد رحمه الله

---

(١) البستاني : دائرالمعارف ١١/ ٤٣٠.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/ ٢١٩.

(٣) مسفر الغامدي : ص/٢٣٧ نقلاً عن زبدة الحلب ٢/ ٢٨١.

(٤) المرجع السابق ص/٢٣٨.

وهو في حصار قلعة جعبر، وكان عمره قد زاد على ستين سنة، ودفن بالرقة[1]، وفرح بموته الصليبيون أشد الفرح.

ويذكر ابن الأثير الكثير من الصفات الحميدة والأعمال الجليلة التي قام بها عماد الدين زنكي فقد كان رحمه الله عظيم السياسة ينصف الضعيف من القوي، وكانت البلاد قبل أن يملكها خراباً من الظلم وبطش الولاة فعمرها وامتلأت سكاناً، وكانت الموصل من أقل بلاد الله فاكهة فصارت في أيامه وما بعدها من أكثر البلاد فواكه ورياحين[2].

وكان الخطب جللاً والمصاب عظيماً باستشهاد هذا القائد المغوار. ولكن الله قيّض للمسلمين ولده الصالح نور الدين محمود الذي سار على درب أبيه في متابعة الجهاد ضد الصليبيين وتوحيد صف المسلمين.

وهذا ما سنراه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

---

(١)(٢) ابن الأثير: الكامل ١٣/٩. وابن العماد: شذرات الذهب ١٢٨/٤.

البـــاب الثـانـي

حياة نور الدين وصفاته الشخصية وأعماله

الفصل الأول : **حياته الخاصة**

- ولادته ونشأته
- زوجته وأولاده

الفصل الثاني : **صفاته وفضائله الخلقية**

- شجاعته وفروسيته
- تقواه وعبادته وزهده
- تواضعه
- تمسكه بالشرع
- علمه وإكرامه للعلماء
- عدله

الفصل الثالث : **أعماله وإصلاحاته**

- إهتمامه بالتعليم وبناء المدارس
- إلغاء الضرائب والمكوس
- منعه لشعار الرافضة
- بناء سور مدينة الرسول ﷺ

الفصل الأول

حياته الخاصة

لما مات عماد الدين تنفس الصليبيون الصعداء، وظنوا أنه قد خلا العرين بموت الأسد، ومادروا أنه الآن قد دخل الأسد العرين، مادروا أنه قد جاء نور الدين.

لما استشهد عماد الدين لم يبك ابنه بكاء النساء بل وقف أمام جسد أبيه وقفة الرجل وأخذ خاتم الملك من أصبعه وجمع الجنود وتوجه تلقاء حلب ليدافع عن الإسلام ويصد هجمات الصليبيين[1].

فمن هو هذا الشبل الذي حمل راية الجهاد بعد أبيه؟ تعالوا نتعرف على حياته وشخصيته، وفضائله العلمية والخلقية.

ولادته ونشأته

ولد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي عند طلوع شمس السابع عشر من شوال سنة ٥١١هـ بحلب[2].

---

(١) علي الطنطاوي : رجال من التاريخ ص/١٧٢ بتصرف .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٧٧ - ابن العماد : شذرات الذهب ٤/٢٢٨ .

ونشأ في رعاية والده، وتعلم القرآن والفروسية والرمي[1].
وكان أسمر طويل القامة، واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين[2].
ولـه ثلاثـة أخوة وهم: سيف الدين غازي، وهو الأكبر. وقطب الدين مودود، ونصرة الدين، وجميع هؤلاء الإخوة ظهرت عليهم النجابة مما ورثوه من والدهم، وكانوا ذوي أخلاق حميدة وشجاعة فائقة[3].

وعلى الرغم من انشغال عماد الدين في الفترة ما بين سنتي ٥١١ - ٥٢١هـ بالعديد من الأعمال السياسية والعسكرية فإن كل ذلك لم يشغله عن تربية أولاده، فقد خصص لتربيتهم (علي بن منصور السروجي) الذي اشتهر ببراعته في الأدب وقرض الشعر وحسن الخط[4].

وكان نور الدين ملازماً لوالده في حِلّه وترحاله، وهذا ما ساعده على تكوين شخصيته وعلى القيام بدور والده عندما أوكل الأمر إليه.

زوجته وأولاده:

تزوج عام ٥٤١هـ من (عصمت الدين خاتون) ابنة (الأتابك معين الدين أنر) حاكم دمشق وكُتب كتاب العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في الثالث والعشرين من شوال، أي بعد استشهاد والده بنصف سنة تقريباً، وما أن تم إعداد الجهاز حتى قفل الوفد

---

(١) ابن كثير: البداية ١٢/٢٧٧.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/١٢٥.
(٣) شاكر أبو زيد: الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ص/٦١.
(٤) مسفر الغامدي: ص/٢٤٢.

عائداً وبصحبته ابنة معين الدين[1].

وخلّف نور الدين من زوجته هذه ابنة واحدة، وولدين هما (الصالح إسماعيل) الذي تولى الحكم من بعده وتوفي شاباً لم يبلغ العشرين من العمـر، من جراء مرض ألمّ به عام ٥٧٧هـ، (وأحمـد) الـذي ولـد بحمص عام ٥٤٧هـ ثم توفي في دمشق طفلاً[2].

وعـاشت زوجتـه معـه مدة حيـاتـه، وبعد موته تزوجت من القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ وتوفيت سنة ٥٨١هـ[3].

---

(١) (٢) عماد الدين خليل : نور الدين محمود ص/٤٨ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٦/٧٨ .

الفصل الثاني

صفاته وفضائله الخلقية

شجاعته وفروسيته :

يذكر الإمام ابن كثير أنه لم يُر على ظهر فرس أشجع ولا أثبت منه [1].

وقد كان رحمه الله يقاتل بنفسه، ويتعرض للشهادة، وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين وجعبتين وباشر القتال بنفسه، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة فلم أرزقها .

وكان مصراً على الأخذ بثأر الإسلام من أعدائه، ويؤكد ذلك قولته المشهورة (إذا كان معي ألف فارس لا أبالي بأعدائي قلّوا أم كثروا . والله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري) وقد قال ذلك حينما هاجمه الصليبيون بغتةً عام ٥٥٨هـ فانسحب بسرعة إلى حمص ولكنه أعاد الكرَّة عليهم وهزمهم [2].

وكان يتعرض للشهادة ويسأل الله تعالى أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير [3].

---

(١) البداية والنهاية : ١٢/ ٢٨٠ .

(٢) عماد الدين خليل : نور الدين محمود ص/٢٨ ـ ٣١ بتصرف .

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص/٢٢٣ .
تحقيق د. سعيد عاشور/ طبع مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

وكـان محباً للريـاضـة والفـروسيـة، ولما عاتبه رجل من كبار الصالحين لإكثاره اللعب والرياضة قال: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكرِّ والفرِّ وتعليمها ذلك، ونحن لا نترك الجهاد)[1].

والرياضة التي كان مولعاً بها هي ضرب الكرة (البولو) فقد كان من أحسن النـاس لعبـاً بالكـرة، وكـان ربـما ضرب الكـرة فتعلو فيجـري الفرس ويتناولها بيده من الهواء ويرميها إلى آخر الميدان[2].

ولذلك لما سأله أحدهم عن سبب هذا اللعب قائلاً: ما كنت أظن أنـك تلهـو وتلعب وتعـذب الخيل لغير فائدة دينية.. كان جوابه بخط يده: (والله ما حملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، إنما نحن في ثغر والعدو قريبٌ منا، وبينما نحن جلوس إذ يقع صوت الحرب فنركب في الطلب، ولا يمكننـا ملازمـة الجهاد ليلاً ونهاراً، شتاءاً وصيفاً، إذ لابد من الـراحـة للجنـد، ومتى تركنـا الخيـل على مرابطها صارت جماماً[3] لاقـدرة لها على إدمـان السـير في الطلب، ولامعـرفـة لها أيضاً بسرعة الإنعطاف في الكر والفر في المعركة، فنحن نركبها ونروِّضها بهذا اللعب فيذهب جمامها، وتتعدد سرعة الإنعطاف والطاعة لراكبها في الحرب، فهذا والله هو الذي يبعثني على اللعب بالكرة)[4].

وكـان مولعـاً بنـوع آخـر من الـريـاضـة ألا وهـو الصيد، وهي من الـريـاضـات التي تُدرب الإنسان على الرمي والتركيز فيه[5]، وهذا من

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٢٧٩.

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص/١٦٨ - ١٦٩.

(٣) صارت جماماً: أي مالت إلى الراحة.

(٤) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص/١٦٤.

(٥) د. عماد الدين خليل: نور الدين ص/٣٣.

أهم وسائل الإستعداد لقتال العدو، ولذلك قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[1].

وهكذا يظهر جلياً أن الرياضة التي كان يمارسها نور الدين لم تكن لتضييع الوقت وهدره، وإنما كانت وسيلة من وسائل التدريب العسكري للجند والخيل ليكونوا على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو في أي لحظة.

ولكن الرياضة عند كثير من الشباب اليوم لم تعد تؤدي أهدافها، وإنما أصبحت وسيلة لتضييع الأوقات والإنشغال عن الواجبات!! ألا فلينتبه شباب الإسلام، فإن الساعة التي تفوت لاتعود، والوقت أغلى من الذهب لأنه هو الحياة.

تقواه وعبادته وزهده:

كان - كما يقول ابن العماد - طاهر اللسان خائفاً من الله قلّ أن يوجد في الصلحاء مثله فضلاً عن الملوك.. وكان لايأكل ولايشرب ولايتصرف في شيء يخصه إلا من ملك اشتراه من سهمه من غنائم الكفار، ولم يلبس حريراً قط ولاذهباً ولافضة.

وكان كثير الصيام، وله أوراد في النهار والليل، وكان يقدم أشغال المسلمين عليها ثم يتممها[2].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن عقبة بن عامر.
(أنظر: جامع الأصول ١٤٧/٢).

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب ٢٢٨/٤ - ٢٢٩، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص/٥٤.

ولقد شكت إليه زوجته من الضائقة فأعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين ديناراً، فلما استقلّتها قال: ليس لي إلا هذا، وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين، لاأخونهم فيه، ولاأخوض نار جهنم لأجلك[1].

وكان يصلي كثيراً بالليل، وكان كما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع لربه

ما أحسن المحراب في المحراب[2]

وكان رحمه الله محافظاً على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة، محباً لفعل الخيرات عفيف البطن والفرج مقتصداً في الإنفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس، حتى قيل إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلى نفقة منه، من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا[3].

ولقد كانت زوجته (عصمت الدين خاتون) من الصالحات العابدات، وكانت تكثر القيام في الليل، وكان زوجها يعينها على ذلك.

وقد ذكر ابن كثير عن صلاحها أنها نامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوّت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً وجراية كثيرة.[4]

---

(١)(٢) ابن الأثير : الكامل ١٢٥/٩، عماد الدين أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٥٥/٣.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٧٨/١٢، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص/٢٢٣.

(٤) المرجع السابق، ٢٧٩/١٢.

وكان من عادة نور الدين أنه ينزل إلى المسجد بغَلَس، ولايزال يركع فيه حتى يصلي الصبح، ويؤدي الصلوات الخمس بتمامها، حتى قال عنه أعداؤه إنه يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل[1].

قال ابن الأثير: (حدثني صديق لنا بدمشق ـ وكان رضيع الخاتون زوجة نور الدين ـ فقال: كان نور الدين يصلي فيطيل الصلاة، وله أوراد في النهار، فإذا جاء الليل وصلى العشاء نام، ثم يستيقظ نصف الليل، ويقوم إلى الوضوء والصلاة والدعاء إلى بكرة، ثم يظهر للركوب ويشتغل بمهام الدولة)[2].

ولقد كان رحمه الله مع ماهو فيه من الملك والسلطان زاهداً في الدنيا معرضاً عنها لايغيب عنه تذكر الآخرة والموت والرحيل عن هذه الدار، ولذلك لما تقدم منه (همام الدين مودود أحد أمرائه وهم في الميدان الأخضر شمالي دمشق في عيد الفطر وسأله قائلاً: هل نكون هنا في مثل هذا اليوم في العام المقبل؟

أجاب نور الدين: (قل: هل نكون بعد شهر؟ فإن السنة بعيدة)! وكان ذلك عام ٥٦٩هـ وكان كما توقع هذا الملك الصالح، فقد حان موعد رحيله عن الدنيا قبل أن يستكمل الشهر[3].

وهذا هو الزهد الذي يريده الإسلام بحيث لايدخل حب الدنيا إلى القلب ويشغله عن الآخرة، ولكن الناس كثيراً ما يخطئون في فهم حقيقة الزهد فيظنونه الجلوس في زوايا المساجد وعدم المشاركة في أعمال الدنيا.

---

(١) أبو شامة: الروضتين ١/٣٤.

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص/١٦٤.

(٣) أبو شامة: الروضتين ١/٥٨٠.

ولـذلـك نجـد أن الإمـام إبن الأثير يصحح هذا المفهوم الذي كثر خطأ النـاس فيـه فيقـول: (فـإن قال قائـل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة، وتُجبى إليه الأموال الكثيرة؟ فيجيب: ليذكر نبي الله سليـمان مع اتسـاع ملكـه، وهو سيد الزاهدين في زمانه، ونبينا ﷺ قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجزيرة العرب جميعها من حدود الشام إلى العراق، وهو على الحقيقة سيد الزاهدين.)

وهكـذا يفسّـر لنـا الـزهـد فيقول: (إنما الزهد خلوّ القلب من محبة الدنيا لاخلو اليد عنها)[1].

وبـذلـك نعـرف السبب الـذي جعل المؤرخين يصفون نور الدين بالزهد مع أنه كان يحكم دولة تمتد من حدود فارس حتى صحراء ليبيا، ومن جبال الأناضول حتى النوبة واليمن والبحر العربي.

تواضـــعه:

كان نور الـدين عارفـاً بحقيقـة عبـوديتـه لله عز وجل، ولذلك كان متـواضعـاً لايتكبر على عباد الله ولم يخرجه عن تواضعه حكمه وشهرته بين النـاس وانتصـاراته على أعدائه الصليبيين. ولذلك لما قال له أحد الفقهـاء يومـاً: (لاتخـاطـر بنفسـك وبالإسلام، فإن أصبت في معركة لايبقى من المسلمين أحد إلا أخذه السيف).

أجابه قائلاً بلسان المؤمن المتواضع لربه: (ومَن محمود حتى يقال له هذا؟ مِن قبلي مَن حفظ البلاد والإسلام؟ ذلك الله الذي لاإله إلا هو[2]).

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص/١٦٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/١٢٥.

ولم تكن الألقاب واغراءات الجاه والسلطان لتغير من حقيقته، فقد كان أعز لقب يحرص عليه هو: (العبد الفقير)، ويأبى ما سواه.

تلقى يوماً من بغداد هدية تشريف عباسية ومعها (قائمة) بألقابه التي كان يُذكر بها على منابر بغداد: (اللهم أصلح المولى السلطان الملك العادل العالم العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المرابط المثاغر نور الدين وعدته، ركن الإسلام وسيفه، قسيم الدولة وعمادها، اختيار الخلافة ومعزها، رضيّ الإمامة وأثيرها، فخر الملة ومجدها، شمس المعالي وملكها، سيد ملوك المشرق والمغرب وسلطانها، محيي العدل في العالمين، منصف المظلوم من الظالمين، ناصر دولة أمير المؤمنين..).
لكن نور الدين أسقط جميع الألقاب وجعل مكانها دعاء واحداً وهو:

(اللهم وأصلح عبدك الفقير محمود بن زنكي)[1]

وفي رواية أنه كتب بخط يده في أعلى الصفحة:

(مقصودي أن لا يُكذب على المنبر، أنا بخلاف كل ما يقال) !!

وهكذا يكون المؤمن المتواضع الذي يبقى في عينه صغيراً مهما أصبح في أعين الناس كبيراً.

وفي ساحات الوغى لم يفارق التواضع محموداً بل كان أكثر تواضعاً لربه متهماً لنفسه غير متعالٍ ولا جبار.

فقد اشتد الأمر به عند حصار بلدة حارم، وكانت أعداد الصليبيين تفوق أعداد المسلمين وعدتهم، فانفرد نور الدين تحت تل حارم، وسجد لربه عز وجل ومرّغ وجهه وتضرع وقال: (يارب! هؤلاء عبيدك

---

(١) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية ص/٦٨.

وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك. إيش فضول محمود في الوسط؟

يقول أبو شامة: يشير نور الدين هنا إلى أنك يارب إن نصرت المسلمين فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إن كان غير مستحق للنصر.

ثم قال: وبلغني أنه قال: اللهم انصر دينك ولاتنصر محموداً.. من هو محمود الكلب حتى يُنصر؟!)[1].

وهذا التجرد والإخلاص والتواضع لله عز وجل من هذا القائد كان أهم أسباب انتصاره على الأعداء وإذلالهم وإعزاز المسلمين، فمن تواضع لله رفعه.

تمسكه بالشرع:

لقد كان رحمه الله يزن كل أعماله بميزان الشرع الحنيف، لايحيد عنه قيد أنملة، وهو يستشعر مسؤوليته أمام الله عن هذه الأمانة التي أوكلت إليه.

ولذلك استفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال، فكان يتناوله، ولايزيد عليه شيئاً ولو مات جوعاً[2].

وكان ينظر إلى الشرع باعتباره هو المصلح الوحيد لأحوال الناس، ولاخير إلا في اتباعه فمن زاد عليه أو أنقص منه فقد ضل، ويظهر هذا جلياً في جوابه على من طلب منه أخْذَ الناس بالشدة ليرتدعوا، واستعمال سياسة القتل والصلب والضرب لينزجروا وتصلح أحوالهم.

---

(١) أبو شامة: الروضتين ١/٣٤٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٢٧٩.

فأجابه قائلاً : (إن الله خلق الخلق، وشرع لهم شريعة، وهو أعلم بما يصلحهم، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه)[1].

وهذه هي نظرة المؤمن الوقّاف عند حدود الله الملتزم بشرعه.

علمه وإكرامه للعلماء:

يذكر ابن الأثير أن نور الدين كان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ليس عنده فيه تعصب، وسمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر[2] حتى حصل على الإجازة العلمية في الرواية حرصاً منه على الخير في نشر السنة[3]، رغم كثافة أعماله وانشغاله بقيادة بلاد المسلمين، كما ألّف كتاباً في الجهاد[4].

وكان حسن الخط كثير المطالعة للكتب الفقهية، متميزاً بعقله المتين ورأيه الثاقب[5].

وكان رحمه الله يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولايرد لهم قولاً، ويكاتبهم بخط يده.

وقد ابتنى بدمشق داراً لاستماع الحديث وإسماعه[6]، وكان إذا

---

(١) المرجع السابق ١٢/٢٨٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٩/١٢٥، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٣/٥٥.

(٣) أبو شامة: الروضتين ١/٥٨٣.

(٤) (٥) د. عماد الدين خليل: نور الدين ص/٣٦ نقلاً عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/٣١٣.

(٦) ابن الأثير : الكامل ٩/١٢٥. - ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٧٨.

دخـــل أحـــد من الفقهـاء قام له ومشى خطـوات وأجلسـه معـه على سجادته في وقار وسكون، وكان يجمع عنده الفقهاء والمشايخ ويكرمهم ويعظمهم، وكان يحب الصالحين.

وقـد نال بعض الأمـراء مرة عنـده من بعض الفقهـاء، وهـو قطب الـدين النيسـابـوري، فقال له نور الدين: ويحك إن كان ما تقول حقاً فله من الحسنـات الكثيـرة المـاحيـة لذلـك ماليس عندك مما يكفر عنه سيئـات ما ذكـرت إن كنت صادقـاً، على أني والله لاأصـدقـك، وإن عدت ذكرتَه أو أحداً غيره عندي بسوء لأوذينك، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك[1].

وهـــذه الغـيرة على العلماء والـدفـاع عنهم تدل على غيرتـه على الشرع الذي يحملونه، والعلم الذي ينشرونه، ولايكرِّم العلماء ويجلهم إلّا من يعـرف أهميتهم ومنـزلتهـم، فهم حملة الدين والدعاة إليه، وهم النقلة الأمناء لميراث النبوة، والأنبياء صلوات الله عليهم لم يوَرِّثوا ديناراً ولادرهماً وإنما ورّثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر.

عـــدلـــه:

لقد حكم نور الدين بكتاب الله وتخلق بأخلاق القرآن وطبّق شريعه الإسـلام على نفسـه قبـل غيره، واتخـذ من الصحابة الكرام والرعيل الأول منهجـه، واقتـدى برسـول الله ﷺ فكـان مثالاً للعدل وإنصاف المظلومين حتى لُقّب بالملك العادل.

جاءه رجـل زعم أن له عليـه حقـاً يريـد أن يحاكمه عند القاضي،

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٢٨١ـ ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص/٣٨.

فأقبل معه ماشياً إلى القاضي الشهرزوري، وطلب منه ألا يعامله إلا معاملة الخصوم ووقف مع خصمه بين يدي القاضي، ولكن لم يثبت للرجل على نور الدين حق بل ثبت الحق للسلطان على الرجل، فلما تبين ذلك قال نور الدين: إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دُعي إليه، فإنما نحن معاشر الحكام أعلانا وأدنانا قائمون بين يدي الشرع، فما أمر به امتثلناه، وما نهانا عنه اجتنبناه، وأنا أعلم أنه لاحق للرجل عندي، ومع هذا أشهدكم أني قد ملّكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له[1].

وهكذا يستوي الحاكم والمحكوم أمام قضاة الشرع حين يطبق حكم الإسلام، ويسود بذلك العدل والإنصاف، ويأمن الناس على حقوقهم وأنفسهم.

وهو أول من ابتنى داراً للعدل، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين أو أكثر، ويحضر معه القاضي والفقهاء، ولا يحجبه يومئذ حاجب بل يصل إليه القوي والضعيف، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه، فيكشف المظالم، وينصف المظلوم من الظالم، ولو كان المظلوم يهودياً، والظالم أكبر أمير عنده[2].

وقد ذكر المؤرخون أن نور الدين صلى مع إثنين من أتباعه المغرب يوماً ثم جلس يفكر وينكت بأصبعه في الأرض، فعجبا من تفكيره، وتساءلا فيما بينهم: في أي شيء يفكر؟ في عائلته أو في وفاء دينه؟ وكأنه فطن بهما فرفع رأسه وقال: ما تقولان؟

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٢) المرجع السابق، ١٢/ ٢٨٠، ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢٥.

فقـالا : عجبنـا من إفـراط مولانـا في الفكر، وقلنا يفكر في عائلته أو في وفاء دينه .

فقـال : (والله إني أفكـر في والٍ ولّيتـه أمراً من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم، أو فيمن يظلم المسلمين من أصحابي وأعواني، وأخاف المطالبة بذلك .

فبالله عليكم، وإلّا فخُبزي عليكم حرام، لاتريان قصة تُرفع إلي، أو تعلمان مظلمةً إلا وأعلماني بها، وارفعاها إلي)[1].

---

(١) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية - ص/٢٥ .

الفصل الثالث

أعماله وإصلاحاته

كان أهم عمل كرّس له نور الدين جهوده وضحّى في سبيله وبذل من أجله، هو جهاد الصليبيين ودرء خطرهم ورفع راية الإسلام عالية خفاقة، وتوحيد الجبهة الإسلامية في وجه الأعداء الطامعين، وهذا ما سنتحدث عنه تفصيلياً في الباب الثالث إن شاء الله، ولكننا هنا نريد إبراز الجوانب الأخرى التي اهتم بها نور الدين وبذل جهده في أدائها وخاصة الإصلاحات الاجتماعية وإهتمامه بالتعليم والعمران وغير ذلك من مظاهر الحضارة والرقي. ولنتحدث عن أبرز هذه الجوانب باختصار:

١ - إهتمامه بالتعليم وبناء المدارس :

انتشرت في عهد نور الدين المدارس في كل مكان، وتدفق العلماء على بلاد الشام من المشرق والمغرب، وأعطيت العطايا السخية للعلماء وطلاب العلم، وعُقدت المجالس والندوات لمناقشة المسائل العلمية[١]، وكان العلماء عنده في المنزلة الأولى وكان مجلسه لايُذكر فيه إلّا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشورة في أمر الجهاد وقصد بلاد العدو[٢].

وقد بنى كذلك مكاتب للأيتام لتعليمهم الخط والقراءة، وأجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة، وأكثر من بناء المساجد ووقف عليها وعلى من يقرىء بها القرآن[٣].

---

(١) عماد الدين خليل : نور الدين ص/١٢٩ ـ ١٣٣ بتلخيص وتصرف.

(٢) (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص/١٧٣.

وبنى المدرسة الحلّاوية في حلب واستقدم لها خيرة العلماء للتدريس بها، كما بنى بها أيضاً المدرسة العصرونية والمدرسة النفرية، وعجّت بلاد الشام بالعلماء أمثال العماد الأصفهاني، وأبي الفتح الاشتري، وأبي عثمان الواسطي، وأبي القاسم البلخي، والحافظ ابن عساكر وكثيرون غيرهم من الفقهاء والأدباء والأطباء والمهندسين[1].

وقد ذكر المؤرخون أسماء عشرات المساجد والمدارس والأربطة والأسوار والقلاع التي بناها نور الدين رحمه الله[2].

ومنها بناء أسوار مدينة حلب وتجديد أسوار قلعتها، وإعادة بناء جامعها الكبير المعروف إلى اليوم، وتشييد محراب له من الخشب الثمين المزين بالعاج.

وبناء البيمارستان النوري في حلب ودمشق، وهو صرح طبي كان الأطباء يقومون فيه على تعليم الطب إضافة لمعالجة المرضى.

٢ ـ إلغاء الضرائب والمكوس :

كان من أهم ما يشغل نور الدين أثناء حكمه حماية حقوق رعيته والإهتمام بمصالحهم وتقديم أوسع الخدمات لهم، بينما كان كثير من الأمراء قبله يمارسون سياسة الابتزاز وعدم المبالاة بمصالح الرعية وفرض الضرائب والمكوس بدون حاجة ولا ضرورة.

---

(١) راجع تفصيل ذلك وما قام به هؤلاء العلماء من دور عظيم، في كتاب الدكتور عماد الدين خليل : (نور الدين محمود وتجربته الإسلامية) ص/١٤٤ ـ ١٦٥

(٢) راجع : الكواكب الدرية في السيرة النورية ص/٣٥ ـ ٣٩.

وقد بدأ نور الدين ولايته بإصدار الأوامر لولاته بإسقاط الضرائب التي كانت مفروضة من قبل، وخاصة إن كان الهدف منها الاستغلال ولاتدعو الحاجة إليها.

وقد ذكر أبو شامة كثيراً من تلك الضرائب التي ألغاها نور الدين، ومنها ما كان يؤخذ من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكيالة وغيرها[1].

واستمر في هذه السياسة فكان يلغي أنواعاً من الضرائب والمكوس عن كل بلد يدخله، وهذا ما فعله عندما دخل دمشق عام ٥٤٩هـ، وعندما دخل شيزر ٥٥٢هـ وعندما دخل الموصل ٥٦٦هـ[2].

وقد ذكر أبو شامة الخطاب الذي وجَّهه نور الدين لأهل الموصل عندما ألغى عنهم المكوس ونصه: (قد قنعنا من كنز الأموال باليسير من الحلال، فسحقاً للسحت، ومحقاً للحرام الحقيق بالمقت.. وقد استخرنا الله.. وتقدمنا بإسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية لنا بعيدة أو قريبة، وإزالة كل جهة مشتبهة مشوبة، ومحو كل سنة سيئة شنيعة، ونفي كل مَظلمة مُظلمة فظيعة، وإحياء كل سنة حسنة، وانتهاز كل فرصة في الخير ممكنة.. فلا يبقى في جميع ولايتنا جور جائر جارياً، ولاعمل لايكون به الله راضياً، إيثاراً للثواب الآجل، على الحطام العاجل، وهذا حق الله قضيناه وواجب علينا أديناه)[3].

ولقد جمع رحمه الله بهذا الخطاب القصير القواعد الأساسية للمنهج

---

(١) أبو شامة: الروضتين ١/١٠.

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب نور الدين محمود / لعماد الدين خليل ص/٩٣-١٠٧.

(٣) أبو شامة: الروضتين ١/٤٧٩-٤٨٠.

الـذي سار عليـه في حكمـه فالحكم أمـانـة ومسؤ وليـة وليس فرصة وغنيمـة ، ولـذلـك وجب عليه أن يسير بين الناس بالعدل، ولا يهضم لأحد رعيته حقاً، بل ينتهز كل فرصة لإصلاح البلاد والعباد ويبذل كل جهد لإبعاد الظلم عن الناس وإقامة حكم الله بينهم .

ولعـل الـذي ساعـد نور الـدين على هذه المهمـة وأرشـده إليهـا ، البطـانـة الصـالحـة والأعـوان الأتقياء والعلماء الناصحون الذين كانوا يوجهـونـه إلى كل خير ويحذرونه من كل سوء ، وهذا هو السبب الذي جعله يضع الضرائب والمكوس عن الناس .

فقـد ذكـر إبن كثير أن الـواعـظ أبـا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي ، وكان من الصالحين الكبار، أنشد نور الدين أبياتاً تتضمن ماهـو متلبس به في ملكـه ، وفيهـا تخويف وتحذير شديد ، وقد آثرت أن أذكـر هذه الأبيـات بكـاملهـا لأنهـا مؤ ثـرة في معنـاهـا توقظ كل قلب يتـدبـرها ، وتعرّف كل إنسان بمصيره الذي لامفرّ منه ، فلنستمع إلى هذه الأبيات كما استمع لها نور الدين من قبل :

مثّـل وقـوفـك أيهـا المـغـرورُ
يومَ الـقـيـامـة والـسـماء تمورُ
إن قيـل نور الـديـن رحـتَ مسـلّماً
فاحـذر بأن تبـقـى ومـالَـكَ نور
أنهـيـتَ عن شرب الخمـور وأنـت في
كأس المظـالم طائشٌ مخمـور
عطـلّت كاسـات المـدام تعـفـفـاً
وعـلـيـك كاسـات الحـرام تدور

ماذا تقول إذا نُقلت إلى البلى
فرداً وجاءك منكر ونكير؟
ماذا تقول إذا وقفت بموقف
فرداً ذليلاً والحساب عسير؟
وتعلّقتْ فيك الخصوم وأنت في
يوم الحساب مسلسلٌ مجرور
وتفرّقت عنك الجنود وأنت في
ضيق القبور موسَّد مقبور
وَوددت أنك ما وليتَ ولايةً
يوماً ولاقال الأنامُ: أمير
وبقيت بعد العزِّ رهن حُفَيرةٍ
في عالم الموتى وأنت حقير
وحُشرت عرياناً حزيناً باكياً
قلقاً، ومالك في الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارسٌ
عافي الخراب وجسمك المعمورُ؟
أرضيت أن يحظى سواك بقربه
أبداً وأنت مُعذَّب مهجورُ؟
مهِّد لنفسك حُجَّةً تنجو بها
يومَ المعاد ويومَ تبدو العور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاءاً شديداً، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد)[1].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٢٨٢.

وهكـذا أثـرت نصيحـة هذا العـالم ولاقت القبـول لأنهـا كانت مخلصة لايُقصـد بها إلا وجـه الله سبحـانه ، ولأن نورالدين رحمه الله كان يفتح قلبه لنصح العلماء ومشاورتهم ويستجيب لكل أمر يقرِّبه من ربه ، وهو يستشعر أنه مسؤول أمام الله عز وجل عن رعيته .

٣ ـ منعه لشعار الرافضة وموقفهم منه :

يبدو أن سيف الدولة الحمداني[1] لما حكم حلب سنة **٣٣٣**هـ وأنشأ فيهـا الـدولـة الحمدانية وكان يميل إلى التشيع ، قد أدخل إليها بعض بدع الرافضة وشعائرهم ، ومن ذلك زيادة (حي على خير العمل) في الأذان ، وقـد استمـرت هذه البـدعـة في حلب حتى عصـر نور الدين حيث أبطلها .

قال ابن كثـير : (ومن أعـمالِه أنه أظهر ببلاده السنّة وأمات البدعة ، وأمر بالتأذين بحي على الصلاة حي على الفلاح . . وكان يؤذَّن بحي على خير العمل ، لأن شعار الرفض كان ظاهراً بها)[2] .

وقال ابن قاضي شهبة :

(في عام **٥٤٣**هـ أبطـل نور الـدين بحلب الأذان بحي على خير العمل ، والتظاهر بسبِّ الصحابة ، وأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، وساعده في ذلـك جماعـة أهـل السنـة والجـماعـة ، وعظم ذلـك على الطـائفـة

---

(١) ولـد سيف الـدولة الحمداني سنة إحدى وثلاثمائة ، واستولى على حلب حيث انتزعها من يد (أحمد سعيد الكلابي) صاحب الأخشيد ، وكان معروفاً عنه التشيع (كما يؤكد المؤرخـون) وتـوفي بحلب وعمره ثلاث وخمسون سنة ، وكان سبب موته الفالج ، وقيل عسر البول .

راجع البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٣/١١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٧٨/١٢ .

الإسماعيلية وأهل التشيع، وضاقت له صدورهم وهاجوا وماجوا، ثم سكتوا وأحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة)[1].

وليلاحظ القارىء الحكمة في عمل نور الدين، فقد استلم حكم حلب عام ٥٤١هـ بعد استشهاد أبيه، ولكنه لم يسارع إلى إزالة هذه البدع إلا بعد سنتين تقريباً، لكي يتم له تقوية مكانته وسلطانه وضمان القاعدة المساندة من أهل السنة.

ولولا أن قيّض الله نور الدين لمحاربة هذه البدع الشيعية لبقيت في حلب، وانتشرت منها إلى غيرها من بلاد الإسلام، ولكن الله حمى هذه المدينة وحفظها من السوء.

والغريب أن أبناء حلب اليوم يتغنون بأمجادهم في عهد سيف الدولة، ولا تجد صغيراً ولا كبيراً إلا وهو يعرف بعض الشيء عنه، حتى إن إسمه واسم دولته واسم ابن عمه الشاعر أبي فراس صار منتشراً في عدة أماكن من حلب، فسميت بأسمائهم المدارس والشوارع والأحياء. أما نور الدين المجاهد العظيم فلا يعلم عن إسمه أحد من أبناء حلب فضلاً عن سيرته وتاريخه!!

٤ ـ بناء سور مدينة الرسول ﷺ وقصة ذلك :

ذكر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب نقلاً عن المطري في كتابه تاريخ المدينة (أن السلطان محمود رأى النبي ﷺ في ليلة واحدة ثلاث مرات، وهو يقول له في كل واحدة منها : يامحمود انقذني من هذين

---

(١) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ـ ص/١٣٠.

الشخصين، لشخصين أشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فأخبره، فقال له، هذا أمر حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك، فتجهز - نور الدين - وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك، حتى دخل المدينة على غفلة، فلما زار طلب الناس عامة للصدقة، وقال: لايبقى بالمدينة أحد إلا جاء، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب.. قالا: نحن في كفاية. فجدّ في طلبهما حتى جيء بهما، فلما رآهما قال للوزير هما هذان، فسألهما عن حالهما وما جاء بهما فقالا: لمجاورة النبي ﷺ فكرر السؤال عليهما حتى أفضى إلى العقوبة، فأقرا أنهما من النصارى وصلا لكي ينقلا النبي ﷺ من هذه الحجرة الشريفة، ووجدهما قد حفرا نقباً تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي يجعلان التراب في بئر عندهما في البيت.

فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد وركب متوجهاً إلى الشام راجعاً، فصاح به من كان نازلاً خارج السور واستغاثوا وطلبوا أن يبني لهم سوراً يحفظهم فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم)[1].

وهكذا نجد أن حقد أعداء الإسلام لاينتهي عند حد فقد حاولوا سرقة جثمان الرسول ﷺ وإخراجه من المدينة لكن الله أبطل كيدهم وقيّض الملك الصالح نور الدين ليذيقهم القتل جزاء فعلهم الشنيع.

---

(١) شذرات الذهب ٤ / ٢٣٠ - ٢٣١ وذكره ابن قاضي شهبة في الكواكب الدرية ص/ ٧٢ - ٧٣ وقال إنهم طلبوا أن يبني سوراً يحفظ أبناءهم وماشيتهم.

البـــاب الثالث

جهـاد نـــور الـــدين

قد يستغـرب القـارىء تأخير الحديث عن جهاد نورالدين ومقاومته للصليبيـين إلى آخـر البحث، مع أن جهـاده رحمـه الله هو أهم عمـل اشتهر به وكرّس حياته من أجله.

ولكن الهـدف من هذا التأخـيرِ هو أن نبـدأ البحث بدراسـة شاملة لشخصيـة هذا المجـاهـد العظيم، وأن نجـول جولات في نفس هذا الرجل لنُبرز جوانب العظمة فيه، وهذا ما فعلناه في الباب الثاني ونحن نستعرض حياته وصفاته الخُلقية وأعماله.

فإذا أدرك القــارىء معنـا عظمـة هذا الـرجـل ومـا فعله في نفســه ومجتمعه من تغيير، أدرك سر النجاح الذي وهبه الله له، والإنتصارات التي وفقه الله إليها.

(فالتغيير في الخارج لايتحقق إلا بإنقلاب في الداخل.. في الذات. بممارسة عملية التغيير الذاتي وفق المؤشر القرآني **﴿إن الله لايغير ما بقـوم حتى يغـيّروا ما بأنفسهم﴾** وهـذا هو الإسلوب الذي إعتمده نور الدين في العمل، فحقق به تلك الإنتصارات)[1].

ومن هنا كان التوغل العميق لفهم حقيقة هذا المجاهد أساساً لابد منه قبل الحديث عن جهاده وتضحياته ومقارعته للأعداء.

---

(١) عماد الدين خليل: نور الدين ص/٤.

ولذلك نجد أن إخلاصه في القيادة وتضحياته وتفانيه جعل تجاوب الجماهير معه سريعاً، لأن العاطفة الإسلامية والغيرة على هذا الدين كانت كامنة في أعماق الرعية، فجاء نور الدين ليوقظها ويجنّدها بدقة وحكمة، فكان أهلاً لتأييد الله له بتلك الانتصارات.

ولقد كان رحمه الله يعلم بأن طريق الجهاد طويل وشاق وأن توحيد الصف الإسلامي أساس لابد منه لبلوغ الغاية المطلوبة.

ولذلك كانت المهمة الملقاة على عاتقه ذات شقين وهما:

١ - جهاد الصليبيين وإبعاد خطرهم عن بلاد المسلمين.

٢ - توحيد صفوف المسلمين وبلادهم التي كانت أمارات متناحرة وحكومات متصارعة وكان بعض أمراء المسلمين لايجد حرجاً من التعاون مع الصليبيين ضد منافسيه في الإمارات الأخرى.

ونور الدين رحمه الله يدرك أهمية توحيد صفوف المسلمين، وأن النصر لايكون مع التمزق والتشتت، ويضع نصب عينيه قوله تعالى:

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ [1]

ولنستعرض معاً مراحل جهاد القائد المظفّر نور الدين منذ إستلامه الحكم بعد استشهاد أبيه وحتى وفاته رحمه الله:

استعاد الصليبيون رباطة جأشهم وقويت آمالهم لما علموا بوفاة عماد الدين فزاد طمعهم في استعادة القلاع والمدن التي أخذها منهم عماد الدين، كما تحرك كثير من أمراء تلك المدن واستقلوا بولاياتهم التي كانت تابعة لدولة عمادالدين، فماذا يفعل نور الدين؟

---

(١) سورة الصف آية/ ٤.

لقـد سارع إلى تثبيت أقـدامـه في حلب، كما تمكن شقيقـه سيف الـدين غازي من تثبيت أقـدامـه في الموصل[1]، فانقسمت مملكة أبيهما عماد الـدين زنكي إلى قسمـين، لكن الأخـوين كانـا على وفـاق فلم يتشاقا[2]، وثبتت بذلك أركان المملكة التي أقامها عماد الدين رحمه الله.

ولكن هل يفوّت الصليبيون هذه الفرصة؟
إنهم يتر بصون بالمسلمين الدوائر، فماذا فعلوا إذن؟

لم يكن الصليبيون هم الطامعين فقط في دولة عماد الدين زنكي بل كان هنـاك الكثير من مرضى القلوب من أمـراء المسلمـين يتحينـون الفـرصـة للإستقـلال ببـلادهم والانشقـاق عن عماد الدين فلما علموا بمـوتـه أسرع (معين الدين أنر) بإرسال قواته من دمشق واحتل بعلبك واسترد الأراتقة المدن التي كانت تحت حكم عماد الدين في ديار بكر[3].
وبعد ذلك لنرى ماذا فعل الصليبيون:

حملة ريمنُد صاحب أنطاكية:

وصلت جرأة (ريمنـد) إلى أن يسـارع بالهجوم على حلب بمجرد سماعه لخبر موت عماد الدين وتولي نور الدين من بعده، وكان ذلك في اليوم السابع من ولاية نور الدين فخرج بعسكره وقسمه قسمين، قسمٌ أنفذه إلى جهة حماة، وقسم أغار به على جهة حلب، وعاث في بلادها وقتـل وسبى، فلما علم نور الـدين بذلـك سارع بإرسـال جيش فصـد

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/١٣ ـ ١٤.
ابن العماد: شذرات الذهب ٤/١٢٨.
(٢) البستاني: دائرة المعارف ١١/٤٣٠.
(٣) فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ص/٢٠٨.

هجـوم (ريمنـد) بقيـادة (أسد الدين شيركوه) فانهزم الأعداء واستعاد منهم الأسرى وعاد إلى حلب ظافراً[1].

الرها تعلن العصيان :

كان (جوسلين) الذي انتزع عماد الدين (الرها) من يده يتحين هذه الفـرصـة، فراسـل أهـل الـرهـا، وعامتهم من الأرمن، وحملهم على العصيـان والامتنـاع من المسلمين، فأجابوه إلى ذلك وسار في عساكره إلى الـرهـا وملك البلد وامتنعت القلعـة عليـه بمن فيها من المسلمين فقـاتلهم فبلغ الخبر إلى نور الـدين وهـو بحلب فسـار مجدًا إليهـا في عسكـره، فلما حاصـرهم خرج (جـوسلين) متسللاً هاربـاً عائـداً إلى بلده، ودخـل نور الـدين ظافـراً، وقد كان أخوه سيف الدين غازي لما علم بخـبر عصيـان الـرهـا سيّر جيشاً لمحاربتهم لكن نور الدين سبق إلى هذا الفضـل لقـرب موقعـه[2] وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكان ذلك في جمادى الآخرة ٥٤١هـ[3].

الحملة الصليبية الثانية وموقف نور الدين منها :

كان الصليبيـون على أهبـة الاستعـداد لإرسال حملة ثانية إلى بلاد

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١/١٢٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٩/١٤ بتصرف .

(٣) أشـرنـا إلى هذه الحادثة باختصار، ولكن لابد من معرفة سبب هزيمة جوسلين، فقد كانت قلعـة الـرهـا بيـد المسلمين ولم يستطع جوسلين إقتحامها فلما حاصره نور الدين بجيشه وقع بين شقي رحى، وقطعت عنه الإمدادات وأدرك أنه لا سبيل له إلى النجاة فتسلل ليـلاً إلى خارج المـدينـة، وولى هارباً إلى تل باشـر غرب الفـرات، وقتـل المسلمـون الكثير من جيشـه، وأخـرجـوا سكان الرها من النصارى وأبعدوهم جزاء خيانتهم وتعاونهم مع جوسلين الصليبي .
(مختصراً عن : الجهاد ضد الصليبيين لمسفر الغامدي ص/٢٤٦).

المسلمين منذ أن سقطت الرها في يد عماد الدين أول مرة سنة ٥٣٩هـ، فهي عندهم أول أمارة صليبية قامت في الشرق الإسلامي، ولذلك اعتبروا سقوطها إيذاناً بإنهيار بنائهم الذي أقاموه طيلة نصف قرن، ولكن الصليبيين لم يكملوا استعداداتهم للحملة الثانية إلا بعد وفاة عماد الدين واستعادة نور الدين للرها مرة ثانية سنة ٥٤١هـ[1] وعندها ثار شعور الغرب المسيحي ونادوا بضرورة الإسراع بإعداد حملة جديدة، في حين كان نور الدين قد شرع في الجهاد دون تباطؤ، فلم يعط الصليبيين فرصة واستطاع في الفترة مابين سنة ٥٤٢ـ٥٤٣هـ أن يستولي على عدة قلاع هامة من الصليبيين فازدادت رهبة الصليبيين له وخوفهم منه[2].

ومع ذلك سارت الحملة الصليبية الثانية بقيادة ملك فرنسا (لويس السابع)، وامبراطور ألمانيا (كونراد الثالث) عن طريق البر، ووصلوا إلى القسطنطينية في شهر سبتمبر ١١٤٧م، وكان كل جيش من الجيشين الألماني والفرنسي يتألف من حوالي سبعين ألف رجل، وفي منتصف أكتوبر ١١٤٧م/ جمادي الأولى ٥٤٢هـ غادر الإمبراطور الألماني مدينة (نيقة) في طريقه إلى (قونيه) وفجأة هاجمهم السلاجقة المسلمون وأعملوا فيهم قتلاً وأسراً، فتراجع الصليبيون الألمان إلى نيقه ثم سلكوا طريق البحر للوصول إلى بلاد الشام، ووصلوا بيت المقدس[3] في ذي القعدة ٥٤٢هـ، وعقدوا مجلساً صليبياً في عكا في ١١٤٨/٦/٢٤م الموافق صفر ٥٤٣هـ حضره ملك فرنسا وإمبراطور

---

(١) مسفر الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين ص/٢٤٧ ـ ٢٤٨ بتصرف واختصار.

(٢) ابن الأثير: الكامل ١٧/٩.

(٣) فايد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ص/٢١٣ ـ ٢١٥ باختصار.

ألمانيا وملك القدس (بلدوين الثالث)، ومعه أمراء مملكة بيت المقدس إضافة إلى عدد من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين في الشرق والغرب، وقرر هذا المؤتمر مهاجمة دمشق [1].

ويصف إبن الأثير بدء هذا الهجوم بقوله :

(سار ملك الألمان في خلق كثير وجمع عظيم من الفرنج عازماً قصد بلاد الإسلام، وهو لايشك في ملكها بأيسر قتال لكثرة جموعه، وتوفر أمواله وعدده، فلما وصل إلى الشام قصده مَن به من الفرنج وخدموه وامتثلوا أمره ونهيه فأمرهم بالمسير معه إلى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها) [2].

وهبَّ أهالي دمشق للدفاع عنها واشترك الزهاد والفقهاء في القتال وأرسل حاكمها معين الدين إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل يطلب النجدة ويدعوه لنصرة المسلمين وكفِّ العدو عنهم فجمع عساكره وسار إلى الشام واستصحب معه أخاه نور الدين محمود من حلب فنزلوا بمدينة حمص . . وجاءتهم الإمدادات فخاف الصليبيون وانسحبوا من دمشق وكفى الله المؤمنين شرهم [3].

فما كان من نور الدين إلاّ أن توجه إلى حصن (العزيمة) وهو للصليبيين فاستولى عليه [4]، وهكذا فشلت الحملة الصليبية الثانية في إحتلال دمشق وانسحب الصليبيون، في حين طاردت القوات الإسلامية فلول المنسحبين، وانحطت هيبة الصليبيين ومكانتهم،

---

(١) المرجع السابق، ص/٢١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٩/ ٢٠ .

(٣) (٤) المرجع السابق ، ٩/ ٢١ .

وارتفعت الروح المعنوية للمسلمين[1].

هزيمة الصليبيين في منطقة يغرى :

حاول صاحب أنطاكية الانتقام فجمّع جموعه وقصد بعض مناطق حلب ليغير عليها، فعلم نور الدين بذلك، فسار إليه في عسكره، والتقوا في (يغرى) واقتتلوا قتالاً شديداً وانجلت المعركة عن انهزام الصليبيين وقتل كثير منهم وأسر جماعة من مقدميهم، ولم ينج من ذلك إلا القليل، وأرسل نور الدين بعض الغنائم والأسارى إلى أخيه سيف الدين وإلى الخليفة ببغداد، وأنشد الشعراء في الافتخار بهذه الموقعة فقال أحدهم يمدح نور الدين محمود :

وكيف لانثني على عيشنا الـ	محمود والسلطان محمود
وصارم الإسلام لاينثني	إلا وشلو الكفر مقدود[2]
مكارمٌ لم تك موجودة	إلا ونور الدين موجود
وكم له مِن وقعةٍ يومها	عند الملوك الكفرِ مشهود[3]

قتل البرنس (ريمند) صاحب أنطاكية :

في أواخر جمادى الآخرة (٥٤٤هـ) توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل وكان كريماً شجاعاً (وهو الأخ الأكبر لنور الدين محمود) وخلفه أخوه قطب الدين مودود فاتفق هو ونور الدين على أن يسلّمه حمص ويستلم قطب الدين مكانها سنجار.

---

(١) فايد عاشور : جهاد المسلمين ص/٢١٧.

(٢) الصارم : السيف القاطع، والشلو : العضو، وأشلاء الانسان : أعضاؤه بعد البلى ومقدود : من القدّ وهو الشق طولاً.

(٣) ابن الأثير : الكامل ٩/٢٢.

وفي صيف ٥٤٤هـ هاجمت قوات نور الـدين قلعـة حارم الـواقعـة على الضفـة الشـرقيـة لنهـر العاصي ثم حاصر قلعة (أنب) قرب معرّة النعمان فأسرع صاحب أنطاكية لملاقاة نور الدين، وكان نور الدين قد أرسـل إلى معين الـدين في دمشق يطلب معـاضـدتـه في الجهاد ضد الصليبيـين فأرسـل له معين الدين العون العسكري، وبذلك اجتمع لنور الدين ستة آلاف مقاتل، فأحاط بالصليبيين في ٢١ صفر (٥٤٤) من كل جانب في موضع (أنب)[1]، وانهزم الصليبيون شر هزيمة وقتل منهم جمع كثير وأسر مثلهم، وكان ممن قتل البرنس صاحب أنطاكية، وكـان عاتيـاً من عتـاة الفرنج ـ كما يصفه ابن الأثير ـ وأكثر الشعراء من مديح نور الدين ووصف هذا النصر العظيم.

فتـح حصن فاميـا بجـوار حماة ثم التأهب لملاقـاة (جوسلين) حتى تمَّ أسره:

في عام ٥٤٥هـ حاصـر نور الـدين حصن (فـاميـا) وهو من أحصن القـلاع وأمنعهـا وقـاتل فيه الصليبيين حتى فتحه وملأه ذخائر وسلاحاً ثم رحل عنه سالماً مظفراً[2].

وفي عام ٥٤٦هـ جمع نور الدين عسكره وسار إلى بلاد (جوسلين) شمالي حلب ليستخلصهـا منـه، وهي (تـل باشـر ـ عينتاب ـ اعزاز.. وغــيرهــا) ولكن جوسلين جمع أعـداداً كبـيرة من الصليبيـين فانهزم المسلمون، وقتل منهم وأسر جمع كثير[3].

---

(١) فايد عاشور: جهاد المسلمين ص/٢١٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/٢٧.

(٣) المرجع السابق، ٩/٢٩، وانظر المختصر في اخبار البشر لأبي الفدا ٣/٢٣.

ولكن نور الدين لم يهنأ له عيش، وهجر الراحة ليأخذ بالثأر فأحضر جماعة من أمراء التركمان وبذل لهم الرغائب إن هم ظفروا بجوسلين وسلّموه إليه إما قتيلاً أو أسيرا.. فجعل التركمان عليه العيون، فخرج متصيداً فلحقت به طائفة منهم وظفروا به فصَانعهم على مال يؤديه إليهم فأجابوه إلى إطلاقه، فأرسل في إحضار المال، فمضى بعضهم فأخبر نور الدين، فسيّر عسكراً وأحاطوا به وأحضروه أسيراً، وكان أسره أعظم الفتوح لأنه كان شيطاناً عاتياً شديداً على المسلمين قاسي القلب، وكانت أكبر مصيبة نزلت بأعداء الله من الصليبيين، ثم توجه نور الدين إلى عشرات القلاع التي كانت بيد جوسلين فاستولى عليها[1].

سقوط عسقلان في يد الصليبيين:

وكان ذلك سنة ٥٤٧هـ وكانت قبل ذلك في يد الخلافة الفاطمية، وتعتبر آخر المعاقل الفاطمية في فلسطين، وكان الصليبيون كل سنة يقصدونها ويحاصرونها فلا يقدرون عليها ولكنهم في هذه السنة بعد أن دبّ الخلاف بين حكام الفاطميين استغل الصليبيون ذلك فحاصروا عسقلان، فصبر أهلها وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى غلبهم الصليبيون ودخلوها[2]، وكان ضياع عسقلان يعني تهديد مصر وفتح الطريق إليها.

واعتبر نور الدين أن ضعف الحكم في دمشق هو الذي أطمع الصليبيين في عسقلان، وزاد ضعف هذا الحكم بعد سقوط عسقلان

---

(١) المرجع السابق، ٢٩/٩، وانظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٢٣/٣.

(٢) المرجع السابق، ٤٢/٩.

وتدهورت الأحوال في دمشق، وقام أهل دمشق وحصروا (مجير الدين) في القلعة احتجاجاً على عدم تدخله في صدِّ هجوم الأعداء[1].

فماذا يكون موقف نور الدين من دمشق؟ لابد من التحرك السريع للسيطرة على المدينة خوفاً من استغلال الصليبيين لهذه الفرصة.

استيلاء نور الدين على دمشق:

في صفر سنة **٥٤٩** توجّه نور الدين إلى دمشق، ولكن مجير الدين أرسل إلى الصليبيين يبذل لهم الأموال لينجدوه ويرحّلوا نور الدين عنه، لكن نور الدين فاجأه وحاصر البلد فقام الأحداث الصغار فسلّموا إليه البلد من الباب الشرقي، ودخل نور الدين وحاصر مجير الدين في القلعة وراسله في تسليمها على أن يسلّم له عوضاً عنها مدينة حمص، فوافق وسار إلى حمص ولكن حّدثته نفسه بالغدر، فعلم نور الدين بذلك فأخذ منه حمص وأبعده عنها حتى خرج إلى بغداد وتوفي بها[2].

وهذا جزاء من يخون دينه وأمته.

وكانت فرحة أهالي دمشق عظيمة بقدوم نور الدين، حيث استقبلوه بالأهازيج قائلين:

نور الدين يامنصور   وبسيفك فتحنا السور[3]

---

(١) فايد عاشور: جهاد المسلمين ص/٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص/٢٢٤.

وراجع ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص/١٤٤.

(٣) علي الطنطاوي: رجال من التاريخ ص/١٧٥.

مرض نور الديـن :

حصـــل لنـور الـدين سنـة ٥٥٢هـ مرض حاد، وكـان بالقرب من أنطـاكيـة، فتـوجه إلى حلب، وأوصى أن يكون أخوه نصرةُ الدين هو القـائم في منصبـه بعـده في حلب، ويكـون أسد الدين في دمشق، ثم اشتـد به المـرض، وتـواصلت الأراجيف بمـوتـه، فتقلقلت النفوس، وانزعجت القلوب، واضطربت الأعمال، وطمع الأعداء فهاجموا مدينة (شيـزر) وقتلوا وأسـروا ونهبـوا، ثم انتشـرت البشائر بعافية نورالدين، فابتهجت النفـوس بعـد القلق، وفـرح المسلمون أشد الفرح وشكروا الله تعالى[1].

وتـواصلت الفتـوحـات، وأخـزى الله الصليبيـين، وانطلق جيش الإيمان يدك معاقلهم ويفرّق جموعهـم.

موقعـة البقـيعة :

في سنة ٥٥٨هـ سار نور الدين نحو الصليبيين ونزل بالبقيعة محاصراً لهم وعـازمـاً على قصـد طرابلس، فاجتمـع الصليبيـون وسـاروا نحو المسلمـين حتى هزمـوهـم وقصـدوا خيمـة نور الدين فركب فرسه ونجا منهم وتلاحق به من سلم من العسكر.

ولكن نور الـدين لم يهنأ له عيش، وهـو يرى تغلب الأعـداء عليه، وجـاءه من ينصحـه بأن يبتعـد عن ذاك المكـان خشيـة أن يحيـط به الأعـداء، فما كان منـه إلاّ أن قال: (والله لا أستظل بسقف حتى آخذ

---

(١) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص/١٥٣.

بثأري وثأر الإســلام) ثم أرســل إلى حلب ودمشق وأحضـر الأمـوال والثياب والخيام والسلاح والخيل[1].

وسـارع لإعـادة تنظيم قواتـه واتجـه في شهر رمضان ليثأر للإسلام، وأرسـل إلى من حولـه من الأمراء يستنجدهم فجاءته بعض النجدات واجتمعت جيـوش المسلمـين عنـد حصن حارم وأقبلوا عليـه من كل حدب ينسلون، ولكن الصليبيـين اجتمعـوا من كل ناحيـة، فلمّا علم نور الدين بمسيرهم ترك (حارم) واتجه صوب (ارتاح) طمعاً أن يتبعوه فيتمكن منهم لبعـدهم عن بلادهم، فلم يتبعـوه، ولكنـه حاصر قلعة حارم عام ٥٥٩هـ فاضطر أهلها إلى مصالحته[2].

وكان مع نور الدين في هذه الموقعة أخوه نصر الدين، فأصابه سهم في إحـدى عينيـه فأذهبهـا، فقال له الملك نورالدين: لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر لأحببت أن تذهب الأخرى.

نور الدين وجيوشه إلى مصر :

أرسل نور الدين ثلاث حملات إلى مصر، الأولى في جمادى الأولى سنـة ٥٥٩ حيث سيّر نور الـدين عسكـراً بقيادة (أسد الدين شيركوه) وهـو أكـبر أمـراء دولتـه، بطلب من شاور الـذي هرب من الفاطميين والتجأ بنور الدين، فوصل أسد الدين القاهرة ومعه شاور حتى فتحها وأقرّ شاور عليها، لكنه بعد ذلك استبد وأبى الطاعة لنور الدين، وطرد شيركوه بمساعدة الإفرنج.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٨٣/٩.

(٢) المرجع السابق، ٨٦/٩.

فجهز نور الدين سنة ٥٦٢هـ جيشاً آخر إلى مصر، وقتل شاور جزاء خيانته.

والمرة الثالثة كانت سنة ٥٦٤هـ حينما علم أن الصليبيين قد جدّوا في المسير إلى مصر حتى وصلوا إليها في غرة صفر ٥٦٤هـ (حيث وصلوا إلى مدينة بلبيس) ونهبوا أهلها وقتلوا وسبوا، فأرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به، ويعرّفه ضعف المسلمين عن دفع الصليبيين، فلما وصله كتاب العاضد سيّر أسد الدين إلى مصر، ووصل القاهرة في السابع من جمادى الآخرة، وفرح به أهل مصر[1].

وبذلك توحدت القوى الإسلامية، وأصبح الصليبيون في فلسطين بين شقي رحى. وتتابعت انتصارات نور الدين بما آتاه الله من إخلاص وتضحية، وتجمعت حوله جيوش المسلمين، فأصبح يسير بها يمنة ويسرة، يطهر أرض الشام من رجس الصليبيين، ويسترجع مقدسات المسلمين، حتى استطاع استرجاع نيفٍ وخمسين مدينة من الصليبيين[2].

وما فتىء خلال ذلك وهو يجدُّ السير في سبيل توحيد صفوف المسلمين، والتقرب إلى أمرائهم والسعي لمشاركتهم معه في جهاده.

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٩/٨٧ وما بعدها.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/٥٦٩، وابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص/١٦.

وفاة نور الدين :

لما كان يوم عيد الفطر سنة ٥٦٩هـ ركب نور الدين إلى الميدان الأخضر بدمشق ، وصلى فيه صلاة عيد الفطر ، وكان ذلك نهار الأحد ، ومدَّ في ذلك اليوم سماطاً [١] حافلاً ، وطهّر ولده الصالح إسماعيل في هذا اليوم ، وزينت له البلد .

ثم ركب في يوم الإثنين وأكبّ على لعب الكرة ، ولكنه شعر بمرض ينتابه فبادر إلى القلعة ، واحتبس أسبوعاً عن الناس ، حتى توفاه الله بسبب مرض الخوانيق (الذبحة الصدرية) ، وكان ذلك يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال ، عن عمر يناهز ثمان وخمسين سنة ، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة ، وصُلِّي عليه بجامع القلعة بدمشق ، ثم حُوِّل إلى تربته التي أنشأها بين باب الخواصين وباب الخيمتين [٢] .

ورثاه الشعراء بمراثٍ كثيرة منها :

عجبتُ من الموت لما أتى ... إلى مَلِك في سجايا مَلَكْ
وكيف ثوى الفلك المستدير في الأرض وسط الفلكْ

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام وأهله كل خير وعوّض المسلمين عما فقدوه بموته خيراً .

ولكن ما الذي جرى بعد فقدانه ؟ . . لقد تجرأ بعض ضعاف النفوس ، فعاد الفساد بعد موته ، وكثرت الخمور وانتشرت الفواحش وظهرت ، حتى إن ابن أخيه صاحب الموصل لما تحقق موته نادى مناديه بالبلد بالمسامحة باللهو والشراب والمسكر والطرب ومع المنادي دف وقدح ومزمار الشيطان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) سماطاً : أي مأدبة

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢ / ٢٨٤ . وراجع النجوم الزاهرة ٦ / ٧١ - الروضتين ١ / ٥٧٧ ، وذكر ابن قاضي شهبة أنه سمي نور الدين الشهيد لما حصل له من الخوانيق (الكواكب الدرية ص / ٢٩٩) .

وطمع الأعداء من كل جانب في المسلمين، وعزم الصليبيون على قصد دمشق، ولولا خوفهم من قدوم صلاح الدين الأيوبي لدخلوا دمشق[1]. فهلا تحدثنا قليلاً عن صلاح الدين..

صلاح الدين يتسلم راية الجهاد

عندما يُذكر الجهاد ضد الصليبيين يتذكر الناس صلاح الدين الأيوبي، فاتح القدس ومحررها من الصليبيين، وبطل معركة حطين.

ولكننا رأينا في الصفحات السابقة أن نور الدين كان له قصب السبق، فهو الذي وضع الأساس المتين، وبدأ بناء الصرح الشامخ للأمة الإسلامية، ثم جاء صلاح الدين فأتم البناء.

ولكن ماهي صلة صلاح الدين بنور الدين؟

تذكر المصادر التاريخية أن صلاح الدين (ولد سنة ٥٣٢هـ) ونشأ في الموصل في كنف والده (يوسف بن أيوب)[2] الذي كان أحد ضباط نور الدين العسكريين.

ولما أصبح شاباً خرج مع عمه (أسد الدين شيركوه) أكبر أمراء جيش نور الدين، في حملته إلى مصر (٥٦٢هـ)[3]، ثم عاد أسد الدين إلى الشام وصلاح الدين معه[4].

وفي سنة ٥٦٤هـ سار أسد الدين إلى مصر للمرة الثالثة لصدّ هجمات الصليبيين بطلب من خليفة مصر (العاضد) وتسلم ولايتها

---

(١) المرجع السابق، ١٢/٢٨٥.

(٢) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص/١٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص/١٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص/١٧٢.

إلى أن حضرته المنية بعد مدة قصيرة[1]

فتسلم صلاح الدين ولاية مصر ولُقِّب بالملكِ الناصر[2] وأصبح نائباً فيها عن نور الدين[3] وكان ذلك سبباً لتحول كبير في حياته بعد أن كان في أول شبابه يميل إلى اللهو.

يقول ابن قاضي شهبة :

(فقام صلاح الدين بالسلطنة أتم قيام، وتاب عن أسباب اللهو، وتقمص بلباس الدين)[4].

ويقول السبكي : (وكان صلاح الدين حين اتصل بخدمة نور الدين قد طلّق اللذات)[5].

وهكذا نجد أن صلاح الدين قد تربى في مدرسة نور الدين، فكان أهلاً لتسلم راية الجهاد من بعده.

لقد توفى نور الدين وهو يعد العدة لفتح بيت المقدس، وكان قد أعد منبراً جديداً للمسجد الأقصى[6]، فلما توفي طمع الصليبيون من جديد وعزموا على قصد دمشق فبلغ ذلك صلاح الدين فحمل حملته ودخل دمشق وأعاد تقوية الأمة، وقاد المسلمين من نصر إلى نصر حتى فتح بيت المقدس وحمل إليه المنبر الذي أعده من قبل نور الدين[7]، وكان يوماً مشهوداً.

نعم إنه يوم عظيم، يوم إكمال البناء الذي بدأه ورسّخ دعائمه نور الدين.

---

(١) (٢) المرجع السابق، ص/١٧٩.
(٣) المرجع السابق، ص/١٨٢.
(٤) المرجع السابق، ص/١٨٠.
(٥) طبقات الشافعية ٧/٣٤١.
(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٣٢٧.
(٧) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ص/٥٧.

يوم قطف الثمار التي غرسها وتعهدها نور الدين، ثم جاء صلاح الدين فكان خير خلف لخير سلف.

لقد أتم الله النعمة، وأعز جند الإسلام ودحر الصليبيين بعد أن استولوا على كثير من البلاد الإسلامية، وسيطروا على المسجد الأقصى ما يقارب مائة عام!

حصل الفتح المبين ودخول بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ وذلك يوم السابع والعشرين من شهر رجب[1].

ولما كانت أول جمعة بعد الفتح بسطت البسط وعُلّقت القناديل وكبّر المؤمنون، وامتلأ المسجد الأقصى، ونصب المنبر، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذن المؤذنون للصلاة كادت القلوب تطير من الفرح، وصعد الخطيب المنبر، وخطب خطبة بليغة هزت القلوب وأسالت دمع العيون، وحمد الله عز وجل فقال:

(الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومُزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره...)[2]. وكانت خطبته مؤثرة، خشعت لها القلوب. وتمت الفرحة الكبرى، والنعمة العظمى.

والمؤمن يشكر عند النعم ولا يبطر، ولاتخرجه نشوة الظفر عن تواضعه لربه وتذلله لخالقه وتوجهه إليه بالحمد والثناء.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٣٢٤.

(٢) المرجع السابق، ١٢/٣٢٥.

الخـــاتمة

وهكذا عشنا ساعات في رحاب الملك العادل المجاهد (نور الدين) الذي تعلمنا من سيرته كثيراً من الدروس واستفدنا العديد من العبر.

- فلقد تعلمنا أن اليأس داء ينبغي أن لايتمكن من قلب مسلم فمهما اشتد كيد الأعداء وأحدق خطرهم بالمسلمين فإن الله سيجعل لهم مخرجاً وينصرهم نصراً عزيزا إن هم عادوا إلى دينهم.
- وتعلمنا أن النصر مع الصبر وأنه لايُنال إلا بإخلاص العمل لله والتفاني في الجهاد وتوحيد الصفوف وإعداد العُدة.
- وتعلمنا أن النصر على النفس أساس للنصر على الأعداء ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1]، فلما انتصر نور الدين على نفسه وحكم بالعدل بين رعيته، وانتصر المسلمون على نفوسهم، هيأهم الله لذلك الدور الكبير فانتصروا على أعدائهم.
- وتعلمنا أن قوة السلطان في الحق لها أكبر الأثر في المجتمع الإسلامي، فلقد كان المجتمع المسلم طاهراً نظيفاً في عهد نور الدين، فلما مات عادت رؤوس ضعاف النفوس إلى الإرتفاع وكاد الفساد أن يظهر من جديد، لولا أن الله قيض لهذه الأمة صلاح الدين.
- وتعلمنا الكثير الكثير، وما أكثر ما يستفيد الإنسان من سير العظماء، ودروس الماضي، فياليت المسلمين يكثرون من دراسة تاريخ عظمائهم ليتخذوا من ذلك نبراساً يضيء لهم دروب النهضة والعزة ومشعلاً ينير لهم الطريق.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة محمد / آية ٧.

المراجـــع

١ ـ البداية والنهاية ـ للحافظ أبي الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤)هـ
مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.

٢ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ـ للإمام ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ)
تحقيق : عبد القادر طليمات ـ دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

٣ ـ الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين
لابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، المعروف بابن دقماق (ت ٨٠٩هـ)
تحقيق : د. سعيد عبد الفتاح عاشور ـ نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

٤ ـ الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي
مسفر بن سالم بن عريج الغامدي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار المطبوعات الحديثة بجدة.

٥ ـ جهاد المسلمين في الحروب الصليبية
د. فايد حماد عاشور ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦ ـ الحركة الصليبية ـ صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي
د. سعيد عبد الفتاح عاشور ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٦م ـ القاهرة.

٧ ـ الحروب الصليبية والأسرة الزنكية
شاكر أحمد أبو زيد ـ الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب.

٨ ـ رجال من التاريخ
علي الطنطاوي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ دار الفكر ـ دمشق.

٩ ـ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية
للإمام أبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥)هـ
تحقيق : د. محمد حلمي محمد أحمد ـ طبع القاهرة ١٩٦٢م
طبع وزارة الثقافة والإرشاد بمصر.

١٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب
للإمام ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩)هـ
تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

١١ ـ الكامل في التاريخ
للإمام ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)
دار الفكر ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ

١٢ ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية
للإمام بدر الدين ابن قاضي شهبة ـ تحقيق د. محمود زايد
دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

١٣ ـ المختصر في أخبار البشر
للإمام عماد الدين إسماعيل أبي الفدا ـ دار المعرفة ـ بيروت.

١٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
للإمام أبي المحاسن بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) ـ طبع وزارة الثقافة والإرشاد بمصر.

١٥ ـ نور الدين محمود ـ الرجل والتجربة
د. عماد الدين خليل ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ دار القلم ـ دمشق.

الفهرس

الموضـــوع | الصفحة

صدر للمؤلف

١ ـ ورتل القرآن ترتيلا .
وصايا وتنبيهات في التلاوة والحفظ والمراجعة .
٢ ـ دروس من الهدي النبوي .
٣ ـ الصيام والقرآن .

قال الإمام ابن الأثير وهو يتحدث عن نور الدين :

(لقد طالعت سير الملوك المتقدمين . فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته . ولا أكثر تحرياً منه للعدل)

(الكامل في التاريخ ٩/١٢٥)

هذا الكتاب

هذا الكتاب تعريف بعَلَم من أعلام الأمة، وقائد مجاهد من قوادها، وسلطان من سلاطينها الذين رفعوا راية الإسلام عالية خفاقة ودحروا الأعداء الصليبيين، ولقد أنشأ نور الدين دولته وسط تحديات الصليبيين، واستلم الراية من والده الشهيد عماد الدين زنكي، فما هدأ له بال حتى أجلاهم عن أكثر من خمسين حصناً، وأسس دولة قوية الشوكة، وتوفي وهو يعد العدة لفتح بيت المقدس، فتسلم الراية بعده تلميذه في الجهاد صلاح الدين الأيوبي فأكمل المسير.